

Dirassat & Abhath

The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث

المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363

ISSN : 1112-9751

أخلاق الحياة عند جاكلين روز

J.Rose consider of the ethics of life

أ. سفي فيروز " " Sifi Feyrouz

feyrouz.sifi@univ-msila.dz

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

Université de Mohamed Boudiaf - M'sila

د. زروخي الدراحي " " Zarroukhi darradji

dzerrokhi@yahoo.fr

مخبر الدراسات الانثروبولوجية و المشكلات الاجتماعية جامعة محمد بوضياف- المسيلة

Laboratory of Anthropological Studies and Social Studies. Université de Mohamed Boudiaf - M'sila

تاريخ القبول : 2018-11-25

تاريخ الاستلام : 2018-07-23

ملخص :

إن الحديث عن الأخلاق هو حديث علاقة الأنا بالآخرين وهو محاولة من طرف الذات لاكتشاف نفسها واكتشاف علاقتها مع الآخر سياسيا واجتماعيا وحضاريا وثقافيا. وكثيرا ما تقوم هذه العلاقة في الكثير من الفلسفات على غرار فلسفة القصد ، على أساس أن الأنا مكمل للآخر ويبعث حيويته وفهم حقيقة العلاقة بين الأنا والآخر يستدعي الوقوف عند بعض التصورات التي ناقشت موضوع الغير ، وهذا ما كان من فلسفة الظواهرية عند هوسرل والتي وصفت بأخلاق المعنى وقد تناولت روز هذه الأخلاق وطورتها لتكون أخلاق الحياة وهذا ما تناولناه في مقال هذا ووصلنا إلى عدة نتائج.

إن أخلاق المعنى قائمة على بعث الحيوية والإقبال على الحياة داخل الفرد من خلال علاقته بالآخر وهي علاقة يحددها الحب والاحترام وفق نبذ العداوة ونبذ أشكال العنف وهذا ما أيدته روزو أكدت أن هذه الأخلاق هي الأخلاق التي يجب أن تسود مجتمعاتنا لنقضي على كل أشكال الصراع العالمي .

الكلمات المفتاحية : الأخلاق ، الأنا ، الحياة ، المعنى ، القصد

Abstract:

The talk about ethics is a debate about the ego's relationship to others and is an attempt by the self to discover itself and discover their relationship with the other politically, socially, and culturally. This relationship is often based on many philosophies along the lines of the philosophy of intent, on the basis that the ego is complementary to the other and resurrects its vitality and understanding the fact of the relationship between the ego and the other requires standing up to some of the perceptions that discussed the subject of others, and this was the philosophy of phenomenal at Husserl And described the ethics of meaning and Rose has addressed this morality and this is what we discussed in this article and we reached several results.

The morality of meaning is based on the revitalization and the desire for life within the individual through his relationship to the other and it is a relationship determined by love and respect in accordance with the renunciation of hostility and renunciation of forms of violence and this is supported by Rose and confirmed that these ethics is the ethics that must prevail our societies to eliminate All forms of global conflict.

Keywords :ethics ,Ego , Meaning , Life , intent

. مقدمة:

فإن الذي يعنيه حد منطقي أو آخر لا يمكن أن يعد أبدا جزء من قوة الإدراك نفسها بل مجرد دلالة عن ذلك الاسم أو الموضوع، وفي مقابل الاختلاف واللامتناهي للتجارب الفردية يوجد على الدوام ما نعبّر عن هذه التجارب في حد ذاتها. وهذا يدل على أن المعنى لا يقع عند الذوات بنفس الدرجة والعمق كما هو حاصل في المنطق بل يختلف من ذات إلى ذات حسب الأثر والتفاعل مع مدلول الاسم .

إن نظرية المعنى عند هوسرل تحاول أن تفصل المعنى عن الحد المنطقي، وتربط المعنى مباشرة بالإدراك الخاص بحالة الشعور القصدي أو الحالة الشعورية الراهنة التي تكون عليها النفس البشرية ، فإدراكي لمعنى الشجرة مثلا لا يكمن في الحد المنطقي الذي يعبر عن صيغة التجريد، بل يكمن معناها في ما تحمله الشجرة من مدركات في شعوري الخالص، وفيما تضيفه الذات الشاعرة على الموضوع من صفات وأحكام. ومن خلال عملية الوصف يتحدد الوعي. وهذا من خلال وعي الذات بما تريد أن تدرك وتسطيرها لهدف خاص من خلال عملية الإدراك ويتطلب هذا تفاعل الوجدان مع الموضوع المراد فهمه ، وتعدي الأمر مع هوسرل إلى اعتبار الوعي الذاتي مساويا للحياة ككل يقول غدمار " إن عناية هوسرل بمنجزات الذاتية المتعالية تنسجم مع مهمة الظاهراتية في دراسة التكوين، وما يميز هوسرل هو أنه لم يعد يقول الوعي ، أو حتى الذاتية ، إنما يقول الحياة "2. وعلى هذا فإن نظرية هوسرل تعتبر نفي لنظرية اللاشعور وعودة لفكرة الوعي الإنساني كمنهج للتعرف على حقيقة الحياة الإنسانية .

إن هوسرل يشترط في الذات الحيوية الإقبال على الحياة ككل حتى تدرك معنى الموضوع حتى الإدراك. فيلوع اليقين عن الموضوع يشترط سلامة النفس وخلوها من كل الجوانب اللاشعورية المرضية ، وحاول هوسرل أن يربط النحو بعملية إدراك المعنى، وخاصة علم اللغة المتخصص في قضايا الدال والمدلول، ويبحث في تطور مدلولات الكلام ومن هنا يمكن القول أن الإدراك ومفهوم المعنى يمثلان جوهر وحقيقة العالم الخارجي ليتشكل لدينا علم يقيني³. وهو ما يسعى هوسرل لتأسيسه وتصبح الفلسفة بدراستها الوصفية و التحليلية لمواضيع و ماهيات العالم الخارجي هي المهيكلة الحقيقي لمعارفنا على نحو كلي وشمولي، وهي المنهج الفعال لفهم الحياة والإقبال عليها من خلال نظرية القصد .

2.2 نظرية القصد :

منذ البداية لا بد من الاعتراف أن هوسرل ركز في العملية المعرفية على القصد أو النية باعتباره موجه عملية الإدراك، ومن

تعتبر فلسفة الأخلاق من بين الفلسفات الهامة، والتي جذبت إليها عقول الفلاسفة قديما وحديثا ، لما تكتسبه من أهمية بالغة في هيكلية الفرد والمجتمع ، وتشكل الأخلاق دورا حاسما في صلاحها، وتبعث على تقدم الأمم والشعوب، إن كانت قائمة على معايير سليمة، و تكون عاملا رئيسيا في فساد الفرد والمجتمع و تخلف الأمم والشعوب إذا كانت قائمة على معايير فاسدة، أي كانت أخلاق الشر. واشتد الحديث عن الأخلاق في عصرنا هذا، و كانت أخلاق المعنى عند هوسرل ذات رواج وتأثير في كل الفلسفات المعاصرة. و من بين الأسماء التي اهتمت بفلسفة هوسرل جاكين روز هذه الأخيرة طورت فلسفة الأخلاق إلى ما يسمى بأخلاق الحياة القائمة على التسامح والاحترام والمسؤولية. فما لمقصود بها ؟ و ما هي أبعادها؟

و للإجابة عن هذه الإشكالية تبيننا المنهج التحليلي فهو الأنسب للوقوف على حقيقة أخلاق الحياة عند جاكين روز. و يهدف هذا البحث إلى النظر في مدى قدرة أخلاق الحياة عند جاكين روز* على حل مشاكل الإنسان المعاصر وإحلال الوئام بين الناس.

2. الظواهرية و ميلاد أخلاق الحياة :

الظواهرية مدرسة نفسية تعتقد أن الإدراك لا يتم إلا بالعاطفة والرغبة فالعواطف توجه عقلنا و حواسنا و ذواتنا نحو موضوع معين ، وتساعدنا على إدراكه ، فالحب والبغض وسيلتان من وسائل المعرفة والعقل في نظر المدرسة القصديّة آلة في يد العاطفة تفعل به ما تشاء ، فهي التي تبعث نشاطه اتجاه موضوع ما وتثبّت حركته اتجاه موضوع آخر¹. ويعتقد الظاهريون أن العقل لم يستطع الوصول إلى تشكيل المعرفة إلا بواسطة إبداع آليات إنتاج المعرفة، والتي تشكلت كمنهج يعصم الفكر من الوقوع في المغالطات والتناقضات. والمنهج ارتبط بحضوره في أغلب الأحيان بالنسقية ، ويقوم المنهج الظاهري على مجموعة من الأسس منها:

1.2 نظرية المعنى:

ترى أن الدلالات لا يشكلها الحد المنطقي كما ذهب إلى ذلك أنصار المنطق الصوري، بل الذي يبلور المعنى هو إدراك الذات للاسم أو الموضوع، وهذا يعني أن للمنطق ميدانه الخاص الذي ينحصر في إعطاء المدلولات ،لذا فإننا عند إدراكنا لمعنى إسم لذا أو موضوع ما ،

التفاعل معه ، و كثيرا ما تكون رغبة الإنسان ووعيه حاضرين لكن إدراكه للزمان والمكان لا يتم لغموض الموضوع .

وب يمكن القول أن الظاهرية بدأت كبدية نفسية وانتهت إلى نهاية فلسفية ، بدأت بفهم الحياة النفسية وانتهت إلى تأسيس نظرية في المعرفة ، وهذه النظرية غيرت من نظرة الإنسان للحياة ودعته للتفاعل مع الأشياء بعاطفة صادقة حتى يكون لهذه الحياة هدف، وهذا ما ستطوره روز لاحقاً وتجعل منه أساساً لأخلاق الحياة فأخلاق الحياة هي تلك الأخلاق التي تدعو الإنسان إلى الإقبال على الحياة ببهجة و حيوية واحترام الآخر و صنع سعادته و تحمل المسؤولية اتجاهه واتجاه أجيال المستقبل .

3.2. أخلاق المعنى وعلاقتها بالحياة عند روز:

لقد اثر "ادموند هوسرل" هو الفلاسفة الألمان، تأثيراً واضحاً في الفلسفة الغربية في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، ليس فقط لأن "هوسرل" هو الأب الروحي للظواهرية ، بل لأنه بدأ فلسفته في ظل نشأة أزمة في العلوم الأوروبية" و المقصود بهذا أن التصور الوضعي للعلوم قد أفرغ العلم من بعده الإنساني لهذا نجد أن "هوسرل" أراد كما تقول روز: "بناء الفلسفة كعلم دقيق، وفهم أوروبا التي تتخبط في أزمة المعنى، وتعاني ضيقاً شديداً"⁵. فقد نقل "هوسرل" الفلسفة من كونها نظريات مجردة و متضاربة، و أبنية ميتافيزيقية خاوية إلى علم يقيني دقيق يوصل إلى حقائق يقينه، تكون أساساً لكل العلوم الأخرى، حيث يسعى "هوسرل" الذي صدمته أزمة المعنى أو الفكر، وكذا مصير أوروبا الذي كانت تهدده النازية إلى تعزيز مهمة العقل اللامتناهية في مواجهة المذاهب اللاعقلانية والوضعية الجديدة التي اعتبرها "هوسرل" كما تقول روز: "عقلانيات ملتبسة ضيقة تعتقد أنها تتكلم باسم العلم واللاعقلانية و لكنها تكتفي بمعطيات بسيطة تفتقر إلى المعنى والحقيقة"⁶. وقد عرفت فلسفة هوسرل باسم الفلسفة الفينومينولوجية* أو فلسفة الظاهرات القائمة على التعليل الرياضي والوصفي العلمي، فالغاية من المنهج الفينومينولوجي هي إدراك العلاقة بين الذات والموضوع، والتي تحدث وفق قصدية الذات، أي التجربة الحية التي أعيش من خلالها موضوعات الشعور وليس الذات العاقلة فهوسرل فيلسوف عقلاني بمعنى ليس له توجهات روحية مثل برغسون، لذا نجد "هوسرل" يستعمل نفس المصطلح الذي استخدمه "كانط" وهو الترنستاليه⁷. لكن هذه الترنستاليه عند "هوسرل" لم تعد تعني كما كان الحال عند كانط الشكلي العقلي المسبق لموضوعات المعرفة، بل أصبحت تجربة حية معاصرة لوجود موضوعات الشعور ، و طبق "هوسرل" منهجه هذا في ميدان الإدراك

ناحية أخرى لا تقل عن الأولى من حيث الأهمية أن هوسرل يجعل كل ما هو موجود موضوعاً للتأمل الفينومينولوجي، وأن الوعي الخالص يلزم بالضرورة ماهية الموجود. ذلك أن الموضوع لا يعرف التعالي إلا من خلال وعيه من طرف الذات ، لكن الذات التي تمثل قطبين، قطب كونه موضوع يستمد من تجربتي وجوده، وقطب لكونه موضوعاً أساسياً لوعي الخالص. وعندئذ يصبح الوعي الخالص مطلب الذات العارفة التي تريد أن تصل إلى ماهية الموجود، والوعي الخالص عند هوسرل يكمن فقط في وجود القصدي أو النية، وفكرة القصد كانتية لأن كانط جعل من النية أو القصد إلى الفعل أساس المسؤولية والمحاسبة على حد سواء، وليست النية فلسفياً هنا ضيقة كما تتجلى في النص الديني علي العموم- تتخذ طابعاً أخلاقياً وليس معرفياً – إذن فنظرية القصد تتجه نحو البعد المعرفي وتتخذ طابعاً عقلياً صرفاً. والنية تتأسس عند هوسرل من خلال سلسلة التجارب التي مرت بها الذات العارفة، ومن خلال لحظة فلسفية تمت نتيجة الشعور بموضوع معين، عندئذ تحضر الرغبة في معرفة الموضوع من خلال التجربة القصدي المرتبط بقصدته، وبين هوسرل أن الشعور بشيء لا يعني أن نرفع الشعور من هذا الشيء بل أن نجعله يتجه إليه بعاطفته وعقله حيث أن كل الظواهر لها تكوينها القصدي الذي يوجه الإدراك نحوها تلقائياً. ويؤكد هوسرل هذا الأمر بقوله " و نتيجة ذلك أن فكرة العلم و الفلسفة تتضمن من وجهة نظر القصد الغائي نظاماً من المعارف السابقة ، بذاتها و المضافة إلى معارف أخرى لاحقة بذاتها"⁴. ومعنى هذا أنه لا شعور إلا بموضوع و لا علم إلا لقصد ، وهناك رابطة باطنية تدفع الإنسان إلى إدراك الغير باعتبارهم تنمة له وللعالَم الخارجي، فالقصدي تبحث في أشكال المعطى الذاتية ، و الهدف من هذا عقلنة الذاتية والوجود، و تهدف بحوث هوسرل إلى تكوين الوعي بالزمان ومن ثم وعي الوجود الخارجي ، أي أنه يريد للشعور أن يتعمق في البحث عن العلاقة القصدي المتبادلة بين الظواهر من جهة و الذات من جهة ثانية، وهذا الأمر بدوره يحتاج إلى وعي الذات بالزمان.

إن الحقيقة عند الظاهريين ليست شيئاً مستقلاً، فهي مجرد ظاهرة مجردة والظاهرة ما هي آخر الأمر إلا مشروع نية و وعي خالص و رغبة جامحة. والظواهرية في النهاية بقدر ما هي تجميع لعناصر التحليل والوصف بقدر ما هي تداخل بين الموضوع و الذات ، الموضوع يقدم نفسه للذات كعرفة ، و الذات بعد ذلك تضيف المعرفة على الموضوع ، وكان لهذه التصورات أثرها في تطور الدراسات الإنسانية وتوجهها توجيهاً موضوعياً ، لكن رغم الجهود المبذولة من طرف علماء النفس القصديين إلا أنهم فهموا الذات الإنسانية من زاوية واحدة ، و عزلوها عن الموضوعات الخارجية ، و الذات الإنسانية مهما امتلكت من قوة تبقى في حاجة إلى وضوح الموضوع الخارجي ليسهل عليها

أمن الكائنات العاقلة لا تختلف عنه نوعاً ما ، ولا تقل عنه فيما له من حقوق ، وأنه يخضع مع جميع أفراد الكون إلى نفس القانون العقلي الذي يخضع له الفرد نفسه، ويدرك بعقله أن الطبيعة إنما أرادت لهؤلاء جميعاً أن يعيشوا معاً في مجتمع واحد ، يعمل الواحد من أجل الآخر، لهذا تؤكد روز على أن الرواقية رسخت في الإنسان غريزة الاجتماع الكوني تقول في هذا: "إن الرواقي يعرف أنه ينتهي إلى جملة كونية، وأنه سيشتد ضمنها حصناً داخلياً. سيتيح له أن يكون مصوناً بإطلاق من السوء ، إن الفلسفة تغدو تمريناً روحياً منظماً، ومسيرة شطر الحكمة ، وهكذا تستطيع الرواقية أن تذكرنا في زماننا المضطرب والمحروم من المرشد ، بأن في نفوسنا وفي قوة فكرنا نجد قواعد النظر والعمل، وأن نعيش بملاً وعينا ، وأن نعطي لكل لحظة من لحظتنا كل قيمتها ونهب معنى لكل حياتنا"¹¹ فمن خلال تعريف الرواقين للفلسفة تؤكد روز أنه تظهر للأخلاق المكانية الأولى باعتبار أن الفلسفة هي ممارسة الفضيلة وهي أشرف الصناعات منزلة فالرواقيون يعتبرون أن "الفلسفة منهج مستقيم في الحياة وعلم يعدنا بأن نحيا على الفضيلة وصناعة نسلك بها من السبل أقومها، فالفلسفة ناموس حياة جميلة فاضلة"¹² . وقد شيد الرواقيون فلسفتهم الأخلاقية وفق شعار عيش على وفاق مع الطبيعة وهذا معنى العبارة المشهورة التي قالها زينون " الحياة وفقاً للطبيعة." فالفضيلة تكمن في سيطرة العقل على كل تصرفات الإنسان لينتج عن ذلك حياة منسقة بطاعة قوانين الوجود عن وعي وقصد. بعيداً عن كل انفعال ، لأن الانفعال يقود دائماً إلى التهور وفعل الشر، وكلما انحرف الإنسان عن قانون العقل اخطأ طريق السعادة ، لذا تؤكد روز على أن الرواقيون جعلوا من الفلسفة لا تتحدد في البحث عن العلة الأولى، بل إصلاح الأخلاق وتزكية الروح تقول روز: "إن الرواقية تنص على أن الفلسفة ليست عملاً تأملياً محضاً، بل إنها من جميع الجوانب تمرين روحي، ممارسة ذاتية وحكمة لتوجيه الحياة"¹⁴ . فالفلسفة تعطي للروح جمالها فهي تضبط وتنظم حياتنا وتوجه أفعالنا إنها توضح ما يجب فعله، وما يجب تجنبه، إنها تمنح الإنسان الأمان . لهذا رد الرواقيون الشر الأخلاقي إلى الحكم الخاطئ ، فالشر من الإنسان إن لم يخضع سلوكه للعقل، وكان نابعا من الأهواء، وبهذا فالفرد هو أساس سعادة نفسه أو تعاستها. كما اعتبر الرواقيون الواجب أساساً لكل القواعد الأخلاقية، فالفضيلة أو الحياة الفاضلة تتحدد في طاعة القانون، فمهما كانت طبيعة الواجب فعلى الفرد تأديته بإخلاص، لا لأنها واجب ولكن لأنه يحترم فيها الإنسان باحترام القانون الطبيعي، وهذا لأن

والعواطف والقيم، وفي النهاية فإن تأثر الذات بالموضوع وتفاعلها معه هو طريق الإنسان إلى كشف حقيقة هذا الموضوع ويؤكد هوسرل هذا الأمر بقوله: "ونتيجة لذلك أن فكرة العلم والفلسفة تتضمن من وجهة نظر القصد الغائي معارف أخرى لاحقة بذاتها"⁸. ومعنى هذا أنه لا شعور إلا بموضوع ولا علم إلا لقصد، وهناك رابطة باطنية ترفع الإنسان إلى إدراك الغير باعتبارهم تنتمه له وللعالم الخارجي، فالقصدية تبحث في أشكال المعطي الذاتية، والهدف من هذا عقلنة الذاتية والوجود، وتهدف بحوث "هوسرل" إلى تكوين الوعي بالزمان ومن ثم وعي الوجود الخارجي، أي أنه يريد للشعور أن يتعمق في البحث عن العلاقة القصدية المتبادلة بين الظواهر من جهة والذات من جهة ثانية، وهذا الأمر يحتاج إلى وعي الذات بالزمان، وتعدى الأمر مع هوسرل إلى اعتبار الوعي الذاتي مساوياً للحياة ككل⁹.

وعلى هذا فإن نظرية هوسرل تعتبر عودة لفكرة الوعي الإنساني كمنهج للتعرف على حقيقة الحياة الإنسانية. هذا ما وضعته جاكين روز قائلة: "لا إلزام أبداً، لا قانون كلياً أبداً ، لا ممنوع عاماً مفروضاً على الجميع ، بل أسلوبية الحياة"¹⁰ . بمعنى أن أسلوبنا في الحياة هو أساس الحياة نفسها.

3. من أخلاق المعنى إلى أخلاق الحياة عند روز:

1.3 أسس عالمية الفكر الأخلاقي:

إن روز بدعوتها إلى الكونية الأخلاقية سعت إلى تكوين مواطنة عالمية ، حررت فيها الإنسان من النظرة الضيقة للعالم ، والتشدد والتعصب العرقي، ونفي الآخر وإنهاء حرته، فالعدالة والحرية حق للجميع، والمجتمع العالمي الذي تصوره روز يقوم على قيم إنسانية كونية نابعة من القانون الطبيعي الذي يحقق الحرية والإخاء والمساواة بين جميع الأفراد الذين تربطهم رابطة واحدة، وهذه الرابطة قائمة على العقل الواحد الذي يفرض ضرورة التعاون والاتحاد والاعتراف بالغير وبحريته. وهذا ما أشارت إليه جاكين روز من خلال دعوتها لإعادة قراءة بعض الفلسفات الكونية والتي دعت إلى نوع من العالمية خاصة في الجانب الأخلاقي إذ دعت روز إلى ضرورة قراءة الأخلاقيات الرواقية^{**} ، على اعتبار أنها من أهم الفلسفات الإنسانية الرائدة والتي ساهمت في تطوير الفلسفة المعاصرة في جميع جوانبها خاصة الأخلاقية منها، ولعل الفكرة الكونية أحسن دليل على ذلك التأثير بتلك الفلسفة، إذ تؤكد روز على أن الرواقية أسست لوحدة العالم وفق قوة موحدة للجوهر الإنساني ، هذه القوة هي العقل، الذي ندرك من خلاله أنه جزء من الكون، وهو مضطر إلى العمل مع الجميع ، وندرك

كل أرضي أوروبا، من غربها إلى شرقها ، إذ أراد أن يعزز موضوع سلام دائم وعالي بين هذه الشعوب كلها.¹⁸

فالإنسانية التي تعني نوع من البشر يتصرفون في كل شيء بعقل ترتبط بأوروبا التي دعوتها الأساسية هي العالمية ، إذ كان هدف روسو هو تخلص الإنسانية من شقائها وتحريرها من الاستعباد الذي مس مجالات الحياة كلها، وأكد أن طبيعة الإنسان ذاته هو الفضيلة والحرية حيث قال: "الفضيلة والحرية هما أعظم الأشياء في الوجود".¹⁹ مما يعني أن سعادة الإنسان أو شقائه مرهونان بمدى تحرره من كل ما يمكن أن يعيق سعيه في أن يكون فاضلا، ولما كان الإنسان الطبيعي هو الذي لا ينفر من غيره، فإن الأخوة الإنسانية هي صوت الله ، وهي تعبير عن إرادته وهنا يؤكد روسو أن الضمير الخلقي صوت صادر عن إله الجميع لا إله البعض دون البعض، وأن هذا الإله هو إله كوني، فالخير منشأ الطبيعة وليس المجتمع، وعلى هذا بين روسو أن الحالة الطبيعية هي حالة براءة وطهارة ، وعليه يجب أن تكون الطبيعة مبدأ كل حقيقة مهما كان نوعها وطبيعتها، لأن ما يحكم على الحقيقة واحد وثابت لا يتغير، يستمد ثباته من طبيعة الأشياء، لهذا تؤكد روز بأن " روسو مغرم بالطبيعة لأنه عظم سر الطبيعة التي أصبحت ممجدة، ومنسجمة مع الإنسان وتمثل صديقه الحنون، ورفيقته الصالحة... إذ بفضل الطبيعة أنا سعيد كما لو أنني مع امرأة".²⁰ فنظرية روسو الأخلاقية تقوم على عاطفة إنسانية مبدأها حب الذات، حيث تقوم خيرة الإنسان الطبيعي في حبه لذاته ، الذي يدفع بدوره إلى حب الغير، ومن هنا يلح "روسو" على ضرورة تعليم وتربية أطفالنا النظر إلى آلام الآخرين بعين التأسي والشفقة، لا بعين العلو والغرور، لذا وجب تعليمهم أن فضيلة الرجل تكمن في سيطرته على أهوائه .

وتُنبه جاكين روز كذلك إلى أن "جون رولز" حاول هو الآخر من خلال مذهبه الأخلاقي النظري السياسي، إقامة تصور منهجي للعدالة من خلال كتابه "نظرية العدل" الذي صدر سنة 1971م، حيث برهن فيه على إمكانية دراسة العدل دراسة عقلانية، باعتباره اختيارا شاملا لنموذج المجتمع بمبادئ ومعايير كونية وقابلة للاتفاق والمعرفة. فالقيم والأحكام الأخلاقية ليست خارجة عن نطاق الحجج العقلاني الفلسفي بالضرورة ، فقد أعاد "رولز" الموضوعات الأخلاقية إلى ميدان الحقائق الملموسة، كتوزيع الخيرات، والتفاوت في الحظوظ ، ومساعدة الأكثر حرمانا في المجتمع وغيرها، إنه كما تقول روز "يعرب عن مثل أعلى نظري، عملي معقول"²¹. إن العدالة هي الفضيلة الأولى التي تسعى للمؤسسات الاجتماعية إلى تحقيقها وكذا الأنظمة الفكرية وهذا ما

في قيامه بواجباته في مجتمعه الصغير يتطلع للمجتمع الكبير ، الذي يسود فيه التعاون والمحبة والإخاء بتجاوز كل العوائق التي تقف أمام تلاحم الأفراد وتقاربهم و " ينبغي أن نُؤدي واجباتنا الطبيعية و ما تفرضه علينا التكاليف الاجتماعية باعتبارنا متدينين أو أبناء أو إخوة أو آباء أو مواطنين".¹⁵ وكل هذا بغية تحقق الاجتماع الكوني الذي يشترط في قيامه العدالة.

و هذا ما أشارت إليه روز إذ أنه إذا سادت المحبة بين البشر، و ساد التأخو أعدم التعصب والتمييز العنصري ، وتم إقرار الحقوق يتولد الاحترام بين البشر مهما اختلفت ألوانهم و أجناسهم وطبقاتهم الاجتماعية، حيث يسود التعاون بين الأفراد و لا يضر أحدهم الآخر ، و يكون تعاملهم بمقتضى قيم الإنسانية السامية من أجل بلوغ السعادة التي هي الغاية القصوى للإنسان و هي أخلاق الحياة الحقيقية، كما أشار إلى ذلك أرسطو من قبل ، لأن السعادة تتصف بالشمولية و تحكم الوجود لهذا تقول روز: "السعادة بناء علاقات، صلة جوهرية مع العالم و مع الآخر ، و بقول وجيز إنها عاطفة شبه أنطولوجية ، منح الذات لذات أين تغدو الذات مصالحة مع الكيان الآخر انطولوجيا".¹⁶ لهذا اعتقد الرواقيون أن هناك عاطفة بين كل شخص و آخر ممن يتجمعون في المدينة العالمية، فتجعلهم هذه العاطفة متلاحمين بالطبيعة. ذلك أن الحب بين الأفراد يعني التفكير بمصلحة الآخر، حين التفكير بمصلحة الأنا. فالمدينة العالمية لا تحافظ على وحدتها بالقوة السياسية أو العسكرية إنما بقوة الحب و الصداقة بين أفرادها. وفي هذا تقول روز: "ستتيح التمارين الروحية اليونانية و اللاتينية بلوغ حال من الكمال و الانسلاخ عن الأهواء، و هكذا نجد الفلسفة القديمة خصبة بنماذج معاصرة".¹⁷ لهذا فإن الفلسفة الرواقية كما اعتبرتها روز فلسفة عملية أساسها الشعور بالأخوة الإنسانية.

كما تعتقد روز أن روسو ، هو الآخر سعى إلى تشيد أخلاق كونية ينبغي للفكر المعاصر الرجوع إليها، فقد حاول روسو أن يقيم توازنا بين قوى الإنسان جميعا ، بين عقله و بين جانبه الروحي و المادي، لأنه أدرك أن الشر سببه الاختلال المنبثق من حب الإنسان لذاته، و حقهده على غيره من الناس ، لهذا حاول تأسيس أخلاق ذاتية بقدر ما هي موضوعية ، ذاتية لأنها تنطلق من وجود الإنسان الذاتي و المستقل، و موضوعية لأنها تهدف إلى تحقق توازن بين ذاتية الإنسان و بين غيره، لذا تصفه روز باسم صديق الإنسانية، لأنه كان ينظر للحرية و المساواة تقول روز: "لقد توصل روسو إلى فكرة مجتمع مؤلف من شعوب أوروبا ممتد على

الحسد وهذا يستدعي أن يكون هناك تقدير لكل الإنسانية. وذلك أن احترام الشخص الإنساني يقلل خطر الحسد.

2.3 التسامح كأساس للعالمية :

لا يمكن بلوغ أخلاق الحياة إلا من خلال إدراك معنى الإنسانية وهذا الأمر لا يكون إلا إذا تغاضى الفرد عن ذنب أخيه، حتى وإن اشتد ظلمه له، ومهما بلغ من قسوة التعامل فلا ينبغي أن يحرك ظلم الظالم حقننا وكرهيتنا له، ولكن يجب أن نسامحه ونغفر له أخطائه وظلمه لا لثيء إلا كوننا نرى فيه الوجه الآخر، أي نرى فيه أخ وأب بما أننا أخوة تقول "روز": "إن هذا اللانهايي المنقوش أمامي في هذا الإهمال المطلق للوجه، والوجه ... مقدس، وهو يفرض علي وعلى الأقل حكما، منع العنف عليه"²⁶. لذا فما على الإنسان إلا أن يقتل في نفسه الرغبة في ارتكاب الشر والعنف تجاه الآخر الذي يمثل نصفه الآخر والذي يتوجب عليه احترامه، فالشعور بالأخوة هو الذي يجب أن يوجه علاقاتنا بغيرنا فإن كان أخوك ظالم لك لا تأخذه من هذه الجهة وإنما خذ على أنه أخوك وعلى أنكما تغذيتما من منبع واحد.²⁷ فأساس الأخلاق والخير قائم على التسامح والبعد الإنساني. وتؤكد "روز" أن الاستعداد للتسامح هو فعل للقيم المفتوحة والنامية، إنه القرار بأن لا نعاني أكثر من اللزوم.

إنه خيار لمحاصرة البغض والكراهية وبه نتخطى الرغبة في إيذاء الآخرين، إنه قيمة تجعلنا نشعر بالتعاطف والرحمة والرأفة إنه الطريق للشعور بالسلام الداخلي والسعادة. وعندما نتسامح نساهم في التثام الجروح، وفجأة ندرك ونرى حقيقة ملكوت الحب، حيث يكون هناك تحاب، ولا شيء آخر سواه.²⁸ إن التسامح يولد قيم الصفاء ويشجع على التواصل أنه سبيل إلى السعادة الإنسانية، إنه أقصر طريق إلى الله.

3.3 نحو تصور جديد لمفهوم المسؤولية و لأخلاق

المستقبل:

المسؤولية علاقة أخلاقية تقوم بها الذات من أجل الآخر ذلك أن ما يضيء السمة الأخلاقية على الوجود الإنساني هي المسؤولية تجاه الإنسان الآخر وهي التي تعزز أخلاق الحياة. فهي تعطي دلالة وعظمة للوجود ومعنى حقيقي البشري. والمسؤولية الأخلاقية (هي المسؤولية الناتجة عن إلزامية القانون الأخلاقي، وعن كون الفاعل يتمتع بإرادة حرة، والمسؤولية درجات متفاوتة، أعلاها مسؤولية الفاعل الواعي الذي تصدر الأفعال عن إرادته، وأدناها مسؤولية الفاعل الذي يسيطر الهوى على قلبه ويمنعه من رؤية الحق²⁹. وقد أشارت "روز" إلى أن أساس الأخلاق عند "كانط" هو النية أو الإرادة الخيرة لكن هذه النية تجعل الفعل الأخلاقي

أكده "جون رولز" في كتابه نظرية العدالة، إنه يمضي كما تقول "روز" نحو مرجعية (كانطية) كما تقول: "إن رولز يعرض مبادئ العدالة وكأنها أشبه بأوامر قطعية، فالعمل تبع مبادئ العدالة، عمل تبع هذا النمط من الأمر...وعندما جعل "رولز" نظرية العدالة تهمل من نظرية "كانط" أقام حوار بين "كانط" و "ميل" فإنه حقق إذ ذاك عملا أصيلا ومجددا: لقد جعل تقليديين متعارضين يلتقيان"²².

ذلك أن النفعية مذهب اختياري ينطلق من الوقائع، بينما يتطلع "رولز" الكانطي إلى شيء قبلي إنه ينطلق في تفكيره من مبادئ العدالة، إذ أن النفعية تبتعد عن الاهتمام بالشخص عند تفضيلها لمفهوم الرفاه الجمعي، وعلى هذا النحو تؤكد "روز" أن نموذج العدالة (الرولزي) يرسخ في فكرة أصول اختيار منصف غريب عن أولية المنفعة الخاصة، وهي أصول يسودها اختيار المبادئ العادلة. التي قسمها رولز إلى مبدئين: أولهما أنه يجب أن يحصل كل شخص على حق متساوي في المخطط الأكثر اتساعا من الحريات الأساسية المتساوية للجميع والمتوافق مع مخطط مماثل من الحريات للآخرين. وثانيهما يجب أن تكون الفروق الاجتماعية والاقتصادية منظمة بحيث يمكن وفي آن واحد أن تكون موزعة بشكل معقول على أنها لمصلحة كل شخص، وأن ترتبط بأوضاع ومناصب مفتوحة للجميع.²³

ومن الواضح أن هذه المبادئ ليست قبلية في العقل أو داخل فكر الشخص، بل هي قواعد تنجز عبر الإرادة أو الإجماع، فهي لا تتطلب إلا شروطا أولية أخلاقية كالاتحيز والمساواة، فصورته هذه المبادئ ليست صورية منطقية كما أراد "كانط" بل صورية منصفة للإجراء المطبق على الجميع، ومن هذا المنظور تقول روز: "لا يكون الفعل عادلا وأخلاقيا لأنه صالح، بل لأنه مستقيم، فقد اعتنق "رولز" بوجه الإجمال إطارا من الواجبات، وأبعد الرجوع إلى خير أسى إلى غاية سامية قادرة على تنظيم العمل الإنساني"²⁴. فهناك اتفاق بين العدالة والخير، كما أن المجتمع المنظم جيدا، والذي يمارس العدل يحقق خيرا للجماعة لا محال، يزداد ذلك كلما أهدم الحيل إلى الضعيفة والحسد إذ أشارت "روز" إلى أن الحسد ضار اجتماعيا، لأنه منطوي على خبث، ذلك أن الحسد هو: "تلك العاطفة من الحزن الناجم عن رؤية خير الآخر، وهو ذلك الميل إلى الشعور بالبغضاء حيال ممتلكات الآخرين"²⁵. فنحن نحسد الأشخاص الذين يتفوق وضعهم على وضعنا، وهذا ما أشار إليه كانط حينما عرف الحسد على أنه إحدى الرذائل التي تتعلق بالكراهية البشرية، لهذا فإن المجتمع الجديد التنظيم يقود بالانطلاق من العدالة، إلى تفهقر

إن ذمتي حيال الآخر تبقى غير بريئة حتى لو كلفني ذلك حياتي، لأنني مسؤول عن الآخر مسؤولية غير مشروطة. دون رد للمقابل واعتراف بالجميل فالمبادلة تخص الآخر وحده إنني أقوم بخطوة أخلاقية نحوه دون أن أنتظر منه ردا للجميل. ومن هنا تتعالى فكرة اللامتناهي فوق كل معرفة هي تتعلق بعلاقتنا بالغير، في محبتنا له وخوفنا من موته وتأثرنا من جراء ذلك، وحرزنا على فراقه ليس ضيقا أو اقل من الموت والفناء الذي ينتظر الذات، نتيجة ذلك التأثر، المسؤولية هي الحب الشديد والقوي الذي نحمله في صدورنا للغير، فالموت هو الخطر الذي يتقرب منا كالسر ، إنه إقبال على الآخر ومرجعيتي بالنسبة إلى الموت هو >> أننا نلتقي بالموت في الوجه الآخر<<³³.

لهذا تؤكد روز على لسان لفيناس أن الإنسان يحوي داخله مسؤوليات كبيرة تجاه الآخر تلزمه بعدة واجبات تهبه عن العنف والتعصب ومسؤوليتي تجاه الآخر تمتد لتشمل المسؤولية عن موته. فالخوف من أن يموت الآخر هو بالتأكيد أساس المسؤولية عنه.

وتعتقد روز أننا بحاجة ماسة إلى إعادة صياغة الأخلاق النظرية لعصرنا لتصبح أخلاق حياتية معاشة ، ذلك أن عصرنا أصبح غني بالأضرار والشر التي تمس الإنسان بالدرجة الأولى ومحيطه ثانيا، نتيجة التطور التقني والعلمي المذهل، إذ نشهد أن سيطرة الآلة على أنشطة الإنسان أدى إلى انقلاب شامل للمجتمع خلال القرن التاسع عشر، كما ازدادت هذه الظاهرة تفاقما في القرن العشرين مع التطور التقني، وأصبح الإنسان ضحية أكثر فأكثر لسيطرة الآلات وتطور التقنيات المطبقة، مما أدى إلى ظهور مشاكل يجب أن يقيم لها وزن، مما دفع بالإنسان اليوم للتحدث عن المسؤولية بصفة عامة، والمسؤولية الأخلاقية بصفة خاصة، فأصبحت الضرورة ملحة لإقامة أخلاق جديدة تراعى فيها المستجدات الراهنة وهذا ما أراد توضيحه الفيلسوف الألماني المعاصر "هانز يونس" وفي هذا تقول روز: "من الواجب أن نأخذ بعين الاعتبار، كيف ندرك محاور الأخلاق النظرية في عصرنا، واقع البيئة التقنية المثقلة بالتهديدات والأخطار، إن العلوم والتقنيات الحديثة تثير بصورة مشروعة الخوف كما أبان ذلك يونس"³⁴. فكل شيء ينقلب إلى تهديد، ذلك أن الوضع الذي تفرضه التقنية أو العلم مشعب بالأخطار والشر التي أصبحت في قلب الكيان الإنساني ذاته، مما يدعو إلى ضرورة إعادة صياغة للأخلاق النظرية، إذ أن القاعدة الحيوية لهوية الشخصية هي ذاتها قد أصيبت بالتقنيات الجديدة، تقول روز: "عندما يهدد العلم الإنسان، عندما تكون التفاؤلات القديمة عتيقة أو بالية وعندما

منفصل عن الغير ، يعني أفعل من أجل الواجب. لهذا انطلقت "روز" من فكرة "النية" الكانطية وعوضتها بفكرة المسؤولية فأنا أفعل لأتحمل مسؤوليتي اتجاه الغير (الآخر) ، أي الواجب من أجل إسعاد الغير ، و ليس من أجل الواجب، إن روز تحاول أن تجعل من فلسفة "كانط" أكثر واقعية أي ممارسة على أرض الواقع بتحمل الإنسان لنتائج أفعاله في وجود النية الحسنة.

وهذا ما أكدته بعض الفلاسفة المعاصرة التي أكدت أن فعل الكينونة يكمن في عدم التهرب و من مسؤولية الإنسان اتجاه غيره بحجة أن نية الفعل حسنة والنتيجة انقلبت سوء ، ذلك أن مسؤولية الذات أمام الغير دلالات المحبة والسلام، إنها مناداة باللاعنف ، ووقوف في وجه الحروب وهذا ما أكدته "روز" من خلال فيلسوف الغيرية (ليفناس) الذي أعلى من القيمة الأخلاقية للمسؤولية التي تحملها الذات على عاتقها اتجاه الآخر، ففي اللحظة التي تلتقي فيها الذات مع الآخر الغريب عني الذي ليس أنا، في لقائه وجها لوجه تتجلى الأخلاق الإنسانية في مراعاة مسؤولية الذات اتجاه الغير يقول لفيناس "الوجه يعني لي مسؤولية لا يمكنني الاعتراض عليها مسؤولية سابقة عن كل اتفاق وعقد"³⁰. فعندما تكشف وجه الآخر لا يمكننا الاعتراض والتغاضي عنه أو تجاهله إنسانيا وأخلاقيا فالوجه يفرض ذاته علي، فعندما يناديني، ينادي مسؤوليتي، فلا يمكنني الامتناع عن تلبية نداءه، أو أن أنساه أو أتجاهله وأتخلى عنه، مسؤوليتي أمام بؤسه وفقره ، إن مسؤوليتي تجاه الآخر تفرض ذاتها علي، مهما كان موقف الآخر مني أي أذهب إلى الآخر دون أي اعتبار لتوجهه نحوي. وفي هذا تقول "روز": "إن الالتقاء مع الآخر هو دفعة واحدة مسؤولية تجاهه، ذلك أن رؤيتي لوجه الآخر هي اضطلاع مني بمصيره"³¹. فعندما يأتي الغير في زيارة أو يحاورني أو يخاطبني فستولد بداخلي إلزامية أخلاقية تتجلى في أن أكون دائما موجودة وفي الخدمة من أجل الآخر ، أو كما تقول "روز" من أجل إسعاد الآخر وإرضائه.

إن عظمة الغير ومحبي له تجرباني على أن أكون جاهزا وحاضرا وموجودا من أجل الغير و من أجل الحياة ، لذلك فإنني مسؤول تمام المسؤولية عن معنى حياته ، وهذه تعابير من أجل الإفصاح بلغة وصفية عما أدركه عندما ينتصب الغير أمامي، إن الوجه الخلقي لهذا اللقاء يأمرني ويقتضي، وفي هذا تؤكد "روز" أن منطلق الأخلاق النظرية يجب أن يكون تحديد المسؤولية ، أي مسؤوليتي إزاء إسعاد الآخرين تقول روز: "الأخلاق النظرية بوصفها لقاء ومسؤولية غير متناظرة، إنني مسؤول عن الآخر دون أن أنتظر مقابلا، إن علي أن أتحمل كل شيء"³².

فلأخلاق أساس أنطولوجي وبرز هذا الأساس عدة مستويات، فهو يتحدد أولاً في وجود الإنسان وبعد ذلك في أساس الوجود بصفة عامة³⁹. فهو يرفض فكرة بأنه لا توجد حقيقة ميتافيزيقية ذلك أن الميتافيزيقيا هي التي تحمي الإنسان من التطور الأعلى للتقنية وفي هذا تقول "روز": "لنرجع إلى الوقائع لهوب من المثل الأعلى الخيالي المحض لننادي الميتافيزياء إلى مبدأي المسؤولية والواقع"⁴⁰.

تؤكد "روز" أن الأمر القطعي الكانطي لا يستطيع أن يتكيف مع حضارتنا التقنية، وهو يحتاج إلى تجديد وتفعيل، فإذا كان أساس الأخلاق عند كانط هو "النية" فإن "روز" تؤكد أن النية وحدها غير كافية لتجعل سلوك الفرد سوي، مما يستوجب أن تتحدد النية وترتبط بنتيجة هذا الفعل حتى يكون سلوك الفرد أخلاقياً وسوياً،⁴¹. ولكن "روز" تقدم بديل لهذا الأمر القطعي بأمر جديد يتضمن تمام الإنسانية وتمام الحياة، ويكون موضوعه كل التطورات التقنية المعاصرة التي أصبحت مصدر قلق للإنسانية نتيجة إفرانها السلبية عليه، والتي أصبحت تهدد مصيره ومصير الإنسانية القادمة التي نحن مسؤولون عنها دون انتظار أي مقابل منها، أي خدمة الإنسانية من أجل الإنسانية لا غير وتقول "روز" أن هذا الأمر عبر عنه "يونايس" في طراز رباعي⁴²:

- إعمل على نحو أن تكون نتائج عملك متسقة مع استمرار الحياة الإنسانية حقيقة على الأرض.
- اعمل على نحو أن لا تكون نتائج عملك هدامة لإمكان مثل هذه الحياة في المستقبل.
- لا تفسد شروط البقاء اللامحدود للإنسانية على الأرض.

- ادخل في اختيارك الحالي تمام مستقبل الإنسان بوصفه موضوعاً ثانوياً لإرادتك .
فالمسؤولية اليونانية صيغت على طريقة كانط وإن كان قد حولها حسب الأسلوب العصري، وما يلاحظ على هذه الأوامر القطعية أنها تتمحور حول ضرورة المحافظة على إمكانية حياة إنسانية مستقبلية، لهذا فهو يدعونا إلى ضرورة الخوف والقلق من الخطر المحدق بنا وبأجيال المستقبل، لهذا نجد أنه يؤكد على ضرورة التضحية بين الأجيال، أي من طرف الأجيال الحاضرة لأجل أجيال المستقبل، إذ يجب عليها أن تفعل ذلك بواجب أخلاقي حتى يمكن للإنسانية الاستمرار في الحياة تقول "روز": "في وسعي المجازفة بحياتي الفردية الخاصة بل تعريضها للخطر، ولكن ليس في وسعي البتة أن أفعل ذلك بالنسبة لحياة الإنسانية القادمة"⁴³. وكأن

ندرك أن العلم يحقق أحياناً أعظم الشرور، إن هذه الأخطار القاتلة تستلزم أخلاق نظرية جديدة"³⁵. ذلك أن وضعية الإنسان قد انقلبت بفعل العلم والتقنية رأساً على عقب، إلى أن أضحي من المستحيل مراقبتها أو التحكم فيها بسبب تطورها المذهل وخصوصاً نتائجها السلبية التي عادت على الإنسان بالأخطار والشرور، مما استوجب ضرورة إيجاد أخلاق جديدة لتضبط قدرات الإنسان لأن الأخلاق السابقة. كما يؤكد "يونايس". سواء كانت من طبيعة غائبة أو تعلق بالواجبات قد تجاوزتها الأخلاق وهذا ما سماه (بالفراغ الأخلاقي)، فالإنسان بحاجة إلى أخلاق جديدة تقول "روز": "إن تقنية عصرنا وهي تعرب عن فراغ أنطولوجي، تسألنا ولأنها كريمة وتدعونا إلى شفافية التفكير إلى صياغة الأخلاق النظرية حول مبادئ جديدة ونظرية جديدة عن المسؤولية"³⁶. فالتقنية اليوم تتخذ من الإنسان محل تأثيره، ويتجسد ذلك في إطالة أمد الحياة ومراقبة السلوك والمداخلات الوراثية وغيرها والتي تبدي طائفة من المسائل والشرور ولكن "روز" تتساءل هل الإنسان يمكن أن يكون موضوعاً للتقنية؟

هذا ما أشار إليه يونايس عندما أكد أنه عندما تسيطر القدرات التقنية في غياب السلطة والقوانين، فإن ما ينتج عن ذلك جملة من التصرفات اللامسؤولية التي ينجر عنها بالضرورة إلحاق الأضرار بالبيئة بأكملها، ويمكن للإنسان تفادي ذلك، إذا ما استرشد بمبدأ المسؤولية أما إذا اعتمد على مبدأ التعويض متصوراً أنه قادر على تحقيق العدل والإنصاف فإن هذا الأمر في نظر يونايس أمر مستحيل، لأنه ينطلق من ضرورة الشعور بالمسؤولية لبناء الأخلاق، كما أن موضوع المسؤولية عنده يختص بكل ما هو ضعيف وسريع التأثير في الوجود: "نحن مسؤولون عن كل ما هو قابل للتغيير والتحول وكل ما هو مهدد بالتلف والزوال"³⁷. فالأخلاق التي نص عليها "يونايس" هي أخلاق الحماية والوقاية والحذر، لأنها تهتم بمصير الإنسان أي بالعدل المستقبلي للإنسانية تقول "روز": "إن الأخلاق النظرية الانطولوجية ليونايس تستجيب لمشكلات عصرنا على مبعده آلاف عن الطبوبات الأذرع الطابوهات الخطرة"³⁸. فهو يبني أخلاقاً نظرية بالانطلاق من تأسيسات جديدة ومن مسؤولية بعيدة، أي مسؤوليات اتجاه الإنسانية القادمة، إنها ذات طبيعة مستقبلية. فالأخلاق التي أراد يونايس تأسيسها هي أخلاق قادرة على الصمود أمام النقد الذي قد يوجه لها العلم الحديث، إنها قائمة على أساس ميتافيزيقي وهو ما أدى به إلى الإقرار: "بتأسيس أخلاق المستقبل، أقر واعترف أنني أؤمن بالميتافيزيقيا، أي أن الوجود الذي يبرز ذاته لا يؤكد فقط ما هو، ولكن ما هو مفروض علينا تأديته اتجاهه أيضاً،

الوجود أفضل بما لا نهاية له من اللاوجود، فإن من واجبنا صيانة هذه الإنسانية داخل الوجود ذاته"⁴⁶.

إن المفهوم الجديد للمسؤولية لا يقتصر على الحاضر فقط، بل يهتم أيضا بالأفق المستقبلي، وهذا ما يظهر في نماذج أصلية في مسؤولية الوالدين ورجل السياسة لأجل الإصلاح الممكن تجاه الأنشطة التقنوية العلمية التي تهدد حياة الإنسان وتنتهي الشعور بالخوف والقلق. وقد أضافت روز بأن للطبيعة أو البيئة حق أخلاقي فما دامت الطبيعة تعطي الإنسان حاجته، فإن عليه أن يقدم لها المقابل تقول روز: "بدل الاعتراف بأن الإنسان وحده غاية بذاته، وأنه قيمة مطلقة، فإن الطبيعة أيضا تطالب بأن لا تعامل معاملة سيئة، ففوق حقوق الفاعل العاقل تترابط حقوق الكرة الأرضية ونحن مكلفون برعايتها"⁴⁷.

إذن لم يعد الإنسان مركز مرجعية الكون بل الطبيعة والحياة. وبذلك فإن مسؤولية الإنسان تمارس بالضرورة أمام الله ثم أمام الطبيعة وأمام الآخر، وكذلك أمام أجيال المستقبل، فرعاية الإنسان للطبيعة واهتمامها بها يشبه اهتمام الله بها، وتنتهي "روز" إلى القول بأننا نبحث عن أخلاق نظرية صالحة للإنسانية بأسرها، بما في ذلك النوع البشري القادم الموكل إلينا و الذي نحن مسؤولون عن حمايته.

4. خاتمة :

ما يمكن أن نقوله في النهاية هو أن جاكين روز من خلال تناولها لأخلاق المعنى مهدت لظهور فلسفة أخلاقية جديدة تسمى فلسفة أخلاق الحياة وهي فلسفة قائمة على تبني فكرة المسؤولية، هذه الفلسفة تتخذ من المسؤولية أساسا لحب الآخر، فالمعنى الحقيقي لتحمل مسؤوليتي اتجاهك، هو أنني أحبك و إنساني مستمدة من احترامي لك، و وجهك مرآة أبصر بها عيوب، وأقل ما يقال عن فلسفة كهذه أن فلسفة إنسانية تفتح الأفق للآخر، فالأنا لا يحس بمكانته ووجوده إلا في وجود الآخر والفكر الأخلاقي يفقد معنى وجوده في غياب الآخر، فأنا أمارس الأخلاق من أجل الآخر، وهذا ما يدعو إلى الإقبال على الحياة، والحفاظ على الطبيعة من أجل الأنا والغير حتى وإن كان هذا الغير جيل قادم لن ألتقيه. وهذه الفلسفة جديرة بالاهتمام والتطبيق على أرض الواقع لتحقيق السلام الدائم.

5. المصادر والمراجع :

المصادر:

هناك ضميرا أخلاقيا بداخل روز يلزمها بهذه المسؤولية الأخلاقية تجاه الإنسانية القادمة لها الحق المطلق في حياة آمنة وسالمة من الأخطار والشورور.

ولكي يجعلنا يوناس ندرك إدراكا أفضل معنى هذا التقابل الانطولوجي المتصل بالمستقبل البعيد فانه يقدم لنا أنموذجين متميزين بالدلالة: أنموذج المسؤولية الوالدية وأنموذج مسؤولية رجل الدولة وفي الحالتين تشمل المسؤولية الوجود التام للموضوع وهي موصولة ومستقبلية. وتنطلق روز من هذين المسؤوليتين لتثبت مسؤوليتنا تجاه إنسان المستقبل وهما :

4.3 المسؤولية الوالدية:"

المسؤولية الوالدية هي مسؤولية أوجدتها الطبيعة إنها مسؤولية أنطولوجية تهتم بالوجود، وهي النموذج الأصلي المطلق والأبدي لكل مسؤولية، كما أنها تتميز بالشمولية، لأنها تتناول مستقبل وجود الطفل فهي تلي كل احتياجات الطفل منذ الولادة حتى النضج، إذ تأتي الحاجات البيولوجية أولا ثم يضاف إليها وباستمرار كل ما يتعلق بالتربية بكل أبعادها الروحية وأداب السلوك والمعرفة لهذا يعتبر الطفل موضوع أولى لهذه المسؤولية، مسؤولية الآباء تجاه أبنائهم بصفة عفوية دون انتظار المقابل أو رد الجميل لهذا تقول "روز": "إنني أضطلع بالمسؤولية الشاملة القادمة التي لن تقدم لي بالبداهة أي منحة، وهذه اللاتبادلية في الأمر تشكل عنصرا مميذا ما دام واجبي ليس البتة بالصورة المقبولة بواجب آخر، وهذا ما يذكرنا بالإلزام تجاه الأطفال المولودين، فأنا مدين لهم بكل شيء دون أن أنتظر منهم أي شيء"⁴⁴. وتعطى للأب مسؤولية واسعة، كونها تنطوي على اللاتبادل لأن الإنسان هنا سيتحمل مسؤولية الذي لم يولد بعد، أي واجب الآباء نحو الأبناء حديثي الولادة، والذين سيولدون في ما بعد، أي أن المسؤولية الأبوية تنتقل من الوجود (الطفل) إلى واجب الفعل، لذا فهي مسؤولية انطولوجية تهتم بالوجود.

5.3 مسؤولية رجل الدولة:

تمثل هذه المسؤولية قمة النموذج الأصلي الأبوي للرعاية وتطرح التساؤل عن حياة الجماعة، لأنها تراعي مستقبل الأجيال القادمة، فهي أكثر عمومية على خلاف المسؤولية الوالدية التي تمتاز بالخصوصية، إن مسؤولية رجل الدولة تعاقدية لقد تم اختيارها و قبولها لأنها مؤسسة ومشروطة وبذلك فهي قابلة للفسخ أو الإبطال⁴⁵. لهذا ترسم روز عبر هذين النموذجين، أنموذج المسؤولية المعاصرة، لأنها تتناول المستقبل الأبعد للإنسانية تقول في ذلك: "المسؤولية تضطلع بإنسانية وبحياة واهنة فانية ومادام

1. جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العواد، دار عويدات للطباعة والنشر، بيروت، ط1 2001.
2. جاكين روز: مغامرة الفكر الأوربي، ترجمة أمل ديبو، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2011.
- المراجع:
1. أندري كرسون: المشكلة الاخلاقية والفلاسفة، ترجمة عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكري، دار الشعب بيروت، ط1، 1979.
2. جان جاك روسو: الاعترافات، ترجمة وتعليق وتقديم خليل رامس، اللجنة اللبنانية للترجمة الروائع بيروت، ط1، 1982.
3. جون رولز: نظرية في العدالة، ترجمة ليلى الطويل، الهيئة العامة السورية، دمشق، ط1، 2001.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، ط1، 1976.
5. زروخي الدراجي، محمد بومانة وآخرون: مبادئ الفلسفة العامة، دار الحكمة للنشر، الجزائر ط2015، 1.
6. هوسرل: تأملات ديكرتية، ترجمة تسيير شيخ الارض، دار بيروت للطباعة، بيروت، ط1، 1958.
7. يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دت .
8. عثمان أمين، الفلسفة " الرواقية"، دار النهضة، القاهرة، ط1، 1959.
9. ليفناس: الزمان والآخر، ترجمة جلال بدلة، معاصر للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2011.
10. عبد الرحمان بدوي: الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1976.
11. غدمار: الحقيقة والمنهج، ط1، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أوروبا للنشر والتوزيع طرابلس، ط1، 2007.
12. سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، دت .
13. سمير بلكيفيف: الفلسفة الأخلاقية،، دار الأمان، الرباط، الجزائر، ط1، 2013.
6. هوامش:
- * وُلدت جاكين روز " J.Rose " سنة 1949 لعائلة يهودية غير ملتزمة. كانت شقيقتها الكبرى الفيلسوفة جيليان روز. اشتهرت جاكين روز بأعمالها التي تدور حول العلاقة بين التحليل النفسي، الأنثوية والأدب. تخرجت روز من كلية سانت هيلدا، أكسفورد، وحصلت على الماجستير
- من السوربون، باريس، والدكتوراة من جامعة لندن. كما اشتهرت بروايتها روايتها ألبرتين، والتي نشرت في 2001، تدور حول التباين الأنثوي في في بحث الوقت الضائع لمارسيل بوست اشتهرت لدراستها النقدية حول حياة وعمل الشاعرة الأمريكية سيلفا بلاث، مطاردة، نشرت في 1991، عرضت روز تفسير لأنثوية ما بعد الحداث في أعمال بلاث، اشتهرت بتأسيسها لفلسفة أخلاق جديدة قائمة على المسؤولية وتأثرت في فلسفتها بكناط وسبنوزا وليفيناس وهذا ما يظهر خاصة في كتابها الفكر الاخلاقي المعاصر. 1991.
- ¹ -جميل صليبا: جميل صليبا: المعجم الفلسفي. ج2، مادة القصد . الشركة العالمية للكتاب. بيروت، ط1، 1994، ص 194
- ² - غدمار: الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح دار أوبا للنشر والتوزيع، طرابلس، ط1 2007. ص 268
- ³ - سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، دت، ص 110
- ⁴ - هوسرل: تأملات ديكرتية، ترجمة تسيير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1958، ص 63
- ⁵ - جاكين روز: مغامرة الفكر الأوربي، ترجمة أمل ديبو، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2011 ص 377
- ⁶ - المصدر نفسه، ص 378.
- الظواهر الشعورية: دراسة وصفية (جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص 194).
- ⁷ - يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دت، ص 116
- ⁸ - هوسرل: تأملات ديكرتية، ص 63.
- ⁹ - غدمار: الحقيقة والمنهج، ص 268.
- ¹⁰ - المرجع نفسه، ص 88.
- * الرواقية: الرواقية لفظ يطلق على المدرسة الفلسفية الكبيرة التي أنشأها "زينون" الكيتومي بمدينة اثينا اوائل القرن الثالث قبل الميلاد يطلق عليها هذا الاسم نسبة الى الرواق اتخذه " زينون" مقر له ليلقي محاضرات فلسفية في ذلك العهد. (عثمان أمين، الفلسفة " الرواقية"، ط2، دار النهضة، القاهرة، 1959، ص 07).
- ¹¹ - جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العواد، دار عويدات للطباعة، بيروت، ط1، 2001. ص 91.
- ¹² - عثمان أمين: الفلسفة "الرواقية" ص 202.

- ²⁹- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، ص 370.
- ³⁰- ليفناس: الزمان والآخر، ترجمة جلال بدلة، معابر للنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 2011، ص 21.
- ³¹- جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 65.
- ³²- المصدر نفسه، ص 65، 66.
- ³³- سمير بلكفييف: الفلسفة الأخلاقية دار الأمان، الرباط، الجزائر، ط 1، 2013، ص 411.
- ³⁴- جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 18.
- ³⁵- المصدر نفسه، ص 18.
- ³⁶- المصدر نفسه، ص 19.
- ³⁷- سمير بلكفييف: الفلسفة الأخلاقية، ص 456، 457.
- ³⁸- جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 86.
- ³⁹- سمير بلكفييف: الفلسفة الأخلاقية، ص 464، 465.
- ⁴⁰- جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 79، 80.
- ⁴¹- المصدر نفسه، ص 82.
- ⁴²- المصدر نفسه، ص 82.
- ⁴³- المصدر نفسه، ص 82.
- ⁴⁴- المصدر نفسه، ص 82، 83.
- ⁴⁵- سمير بلكفييف: الفلسفة الأخلاقية، ص 459.
- ⁴⁶- جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 82، 83.
- ⁴⁷- المصدر نفسه، ص 82، 83.
- ¹³- عبد الرحمان بدوي: الأخلاق النظرية، ط 2، وكالة المطبوعات، الكويت ط 1، 1976، ص 256.
- ¹⁴- جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 90.
- ¹⁵- عثمان امين: الفلسفة الرواقية، ص 263.
- ¹⁶- جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 57.
- ¹⁷- المصدر نفسه، ص 93.
- ¹⁸- جاكين روز: مغامرة الفكر الأوروبي، ص 232.
- ¹⁹- جان جاك روسو: الاعترافات، ترجمة خليل رامس، اللجنة اللبنانية للترجمة الروائع، بيروت، ط 1، 1982، ص 333.
- ²⁰- جاكين روز: مغامرة الفكر الأوروبي، ص 216.
- ²¹- جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 99.
- ²²- المصدر نفسه، ص 102، 103.
- ²³- جون رولز: نظرية في العدالة، ترجمة ليلى الطويل، الهيئة العامة السورية، دمشق، ط 1، 2001، ص 92، 93.
- ²⁴- جاكين روز: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 100.
- ²⁵- المصدر نفسه، ص 101.
- ²⁶- المصدر نفسه، ص 66.
- ²⁷- أندري كرستون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكري، دار الشعب، بيروت، ط 1، 1979، ص 84.
- ²⁸- الدراجي زروخي و محمد بومانة وآخرون: مبادئ الفلسفة العامة، ص 241، 242.